عصا الراعي

الرابعة مساءً والإتّجاه شمالاً..

اللافتات المشيرة إلى القرى والمناطق التي نمرّ بها لا تعلم ما تفعله بمخيلتي.. يلفت نظري دائماً في هذه القرى أسماؤها.. فهي تشعرك أنها تنطوي على قصصٍ كانت بارزةً في زمنٍ ما تجاوزته بصمت، إلا أن ذاكرة إنسانها أبت إلا أن تتوارث شيئاً منها بسبب تلك البصمة القوية التي طبعتها على المكان فأجبرت قدماؤها أن يقرنوه بها، وإن فنيت البصمة نفسها مع من نسجت تفاصيل حكايتها في أذهانهم..

وادي البنات.. هل كان هذا الوادي مليئاً بالبنات؟ أم أن الآباء ذهبوا إلى الغوص وتركوا البنات ثم غرق المركب وبقيت البنات في الوادي؟

وهناك أم الأفاعي.. دائماً دائماً دائماً يسري فيّ شعور معين عندما أرى لافتة هذه المنطقة أو أسمع ذكرها.. شعورٌ ليس بالخوف وإن كان ثمة رهبةٍ في مكوّنات هذا الشعور.. إنه شعورٌ مركّبٌ غامض.. به جحورٌ جافة وآثار زحفٍ وقشعريرة، مع فضولٍ لسماع بعض حكاياتها..

أم بِرْكة.. ما أكثر "الأمهات" في قطر.. هل كانت هنا بركة تألقت ثم جفت؟ ولكنها الآن مليئة بالمزارع الجميلة ذات البِرك المرمرية.. ومع ذلك فهي بصياح ديكتها التي تأتي من كل اتجاه ومأمأة أغنامها من بعيد، وزقزقة عصافيرها نهاراً

وجداجدها ليلاً وصمت مسافاتها بعد المزارع تجعلك لا تفكر إلا في تلك البركة المفقودة التي لم ير ساكنوها الأوائل غيرها في هذه المسافات حتى اجتازت مسافات الزمن إلينا..

عصا الراعي؟ خلف هذه اللافتة ترسم مخيلتي قطيعاً من الأغنام أكاد أسمع ثغاءها البعيد، وخلفها راعيها بثوبه المصفرّ وخصله الشعثاء المطلة من تحت غترةٍ رثة اعتمّ بها.. أما عصاه فهي ليست بيده، لقد فقدها هناك أو نصبها علامةً خلدتها في خريطة المكان كما فعلت كل تلك الحكايا القديمة التي لم نبحث عنها بعد..

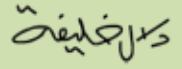

نشرت بملحق الشرق الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٤/٢٧م